كلمة البروفسور سليم دكّاش اليسوعيّ، رئيس جامعة القدّيس يوسف، في حفل افتتاح مكتبة الصور الفوتوغرافيّة في المكتبة الشرقيّة وقاعاتها المجدّدة، بالشراكة مع مؤسّسة بوغوسيان، في ٢ حزيران (يونيو) ٢٠١٦، في تمام الساعة الخامسة من بعد الظهر، في مسرح "مونو".

سيادة المطران السفير البابوي غابريال كاتشا،

سعادة النائب،

حضرة معالي الوزير،

سعادة سفير بلجيكا ألكس لينارت Alex Lenaerts،

سعادة سفير سويسرا فرانسوا باراس François Barras،

حضرة الأب داني يونس، الرئيس العام الإقليميّ للرهبانيّة اليسوعيّة في الشرق الأوسط والمغرب العربي،

حضرة السيّدين ألبير وجان بوغوصيان وحضرة السيّدة ميري بوغوسيان سلامه،

أيّها الأصدقاء الأعزّاء،

باسم حضرة الرئيس العام الإقليميّ للرهبانيّة اليسوعيّة أودّ أن أرحّب بكم إلى هذا الحفل الذي يحتفي بإنشاء مكتبة الصور الفوتوغرافيّة في المكتبة الشرقيّة والانتهاء من أعمال تجديد المكتبة نفسها. يجب أن نعرف أنّ المكتبة الشرقيّة ظلّت تحت الإدارة المباشرة للرهبانيّة اليسوعيّة خلال إعادة تنظيم جامعة القدّيس يوسف في العام ١٩٧٥. في العام ٢٠٠٠ وقّعت الرهبانيّة إتّفاقيّة مع جامعة القدّيس يوسف تنصّ على توكيل الجامعة مهمّة إدارة شؤون المكتبة وفق الأهداف المشتركة للجامعة وللرهبانيّة. من هذا الواقع، المكتبة عملٌ مشترك يستمدّ حياته من التيقّظ المزدوج من قِبَل الرهبانيّة وجامعة القدّيس يوسف. كان على الجامعة، بموجب هذه الاتّفاقيّة، أن تسهر على جعلها أكثر جاذبيّة ونشاطًا، وهو حق كلّ مكتبة مدعوّة إلى توفير المعرفة عن طريق الكتاب والدعائم الأخرى. إذا كانت الجامعة، في كلّ وقت، تكرّس هذا القدر من الاهتمام والتمويل إلى المكتبة الشرقيّة حتى يتسنّى لها أن تعيش وتستمرّ في البقاء على قيد الحياة فذلك يعود إلى الأسباب التالية :

١. بالنسبة إلى الخبراء، إذا كانت المكتبة تحتوي على أكثر من ٤٠٠،٠٠٠ كتاب بحسب ما أحصاه الراحل الأب جان دوكروييه Ducruet، فمتجرها مليء بمجموعات أخرى في المجالات الأكثر تنوّعًا. فهي تحتوي مجموعة شهيرة من المخطوطات، لا سيّما العربيّة والسريانيّة منها، ومكتبة خرائط من ٤،٥٠٠ قطعة، ومكتبة باللّغة الأرمنيّة تحتوي على ما لا يقلّ عن ٢٥،٠٠٠ كتاب، ومجموعات من الصحف العربيّة الأولى وعلى رأس كل ذلك، محفوظات من الصور الفوتوغرافيّة يُقدَّر عددها بأكثر من ٧٠ أو ٨٠ ألف وحدة. وهي في معظمها روائع أنجزها أعلامٌ في مدرسة التصوير الفوتوغرافيّ في غزير وبيروت، أمثال أنطوان دي بوادبار Antoine de Poidebard وجيرار مارتنبراي Gérard Martimprey ولويس روزنفال Louis Rozenvalle وجوزيف دولور Joseph Delore ورينيه موتارد René Mouterde وغيرهم أيضًا. نحن لسنا فقط أمام مكتبة، ولكنّنا أمام تراثٍ وأمام نصبٍ تاريخيّ لبنانيّ وحتّى شرق أوسطيّ يتخطّى حتّى الشرق ! هذا النصب هو مدعاةٌ لفخرنا ! وقد كان من الواجب بدء وتنفيذ ما كان ضروريًّا ومناسبًا من أجل إعطاء هذا التراث فرصته ليكون مرئيًّا ومسموعًا أكثر فأكثر، لأنّه تراث مزوّد برسالة إيمان وتميّز.

٢. بالنسبة إلى أولئك الذين لا يعرفون تاريخ جامعة القدّيس يوسف، أودّ أن أشير إلى وجود سببٍ آخر : فمن المنطقيّ أن نقول إنّ المكتبة الشرقيّة هي في أساس النشأة الأكاديميّة لتأسيس جامعة القدّيس يوسف. أنشِئَت المحفوظات الأولى في بلدة غزير وفي بيروت قبل إنشاء الجامعة، لأنّ الأساس الأكاديميّ بالنسبة إلى اليسوعيين لا يمكن أن يتحقّق من دون أن يستند إلى الغنى الفكريّ والدعوة إلى البحث والإبداع ! ما كان التعليم ليستند إلا على رأسمال من الأبحاث ! كان هذا مصير الفلسفة التعليميّة والتربويّة لجامعة القدّيس يوسف منذ خطواتها الأولى وفي جميع المجالات، لأنّ الكليّات المعروفة بال "دينية" أو لها صلة بما هو دينيّ إذا توفّرت لديها محفوظات من الكتب، فقد كان للكليّات "المدنيّة" مختبراتها. هذا الاهتمام بالصلة التي تربط بين الأكاديميّ والبحثيّ كانت له أسماء مرموقة من اليسوعيين والعلمانيين أمثال لويس شيخو الذي أطلق عليه العثمانيون اسم "سلطان اللّغة العربيّة"، وهنري لامنس Henri Lammens ، وبرونو زوموفين Bruno Zumoffen وموريس بويج Maurice Bouyges وفؤاد أفرام البستاني، وهنري فليش و Henri FLEISCH، ورشيد البستاني، وميشال آلار Michel Allard، وكميل حشيمه، وأهيف سنّو، والكثير غيرهم. هذا الحدس المرافق للبدايات لا يمكن إلا أن يُدعَم اليوم ويُروَّج كأحد خصوصيّات جامعتنا !

٣. بالفعل، نحن مجتمعون اليوم للاحتفال بنهاية ورشة أعمال نقل أرشيف الصور إلى مكتبة صور فوتوغرافيّة جميلة وحديثة ستُعجَبون بها بعد لحظات مع ما يقارب كلّ الخدمات المُرفقة بها. الشراكة القائمة مع مؤسّسة بوغوسيان لمكتبة الصور الفوتوغرافيّة حثّت الجامعة لتوفير الأموال اللازمة من أجل تنفيذ الأعمال الملحّة والضروريّة في ما يختصّ بالسلامة والهندسة المدنيّة، وترميم الواجهات وتمتين السقوف.... كانت المكتبة تدين لنا بهذا. بفضل الشراكة الثقافيّة الموقّعة مع مؤسّسة بوغوسيان، يمكننا أن نعلن اليوم أنّ مجموعة الصور التاريخيّة في المكتبة الشرقيّة والتي لا تُقدَّر بثمن تمّ إنقاذها ! مع سائر الأعمال المُنجَزة مؤخّرًا والأعمال الأخرى التي أُنجِزَت سابقًا بفضل اجتهاد فريق المكتبة، تسير المكتبة اليوم على الطريق الصحيح لكي تستعيد مكانتها في السياق الوطنيّ والدوليّ ! ضمن شعائر تعابير الشكر، فلنعلم كيف نولي التقدير للعمل المواظب والكفوء الذي تقوم به مؤسّسة أندريه حكيمه وإخوانه وشركائه، فلنعلم كيف نقوم بالتقييم الصائب لخبرة مهندس الديكور السيّد ديمتري بخعازي ومشغله، وكذلك إنجاز فيرانيون Viranion لمتحف مكتبة الصور، كما أذكر بالطبع أصحاب المؤسّسات المتعدّدة الكثر الذين حقّقوا جميعًا ومعًا هذا العمل الرائع من إعادة تجديد المكتبة وإنشاء مكتبة الصور. أمام روعة الأعمال المُنجَزة، لا يسعني إلا التأكيد على أنّ المهندسين المعماريّين ومهندسي الديكور والتقنيّين المختلفين يتمتّعون بالذوق الرفيع والكفاءة والشغف بما يقومون به من إنجازات !

٤. أُعرِب هنا عن امتناني إلى جان وألبير، وكذلك إلى ميري لتبرّعهم ورغبتهم في المشاركة في إنشاء مكتبة الصور الفوتوغرافيّة ومعرضها الذي يُعتبَر متحفًا ! تلاحظون أنّي كنتُ متحمّسًا ولا أزال متحّمسًا لإنشاء مكتبة الصور الفوتوغرافيّة، ليس لأنّي أصوّر في أوقات فراغي، ولكنّ إبراز رأسمالنا من التصوير الفوتوغرافيّ لهو واجب فنّي وثقافيّ ! في أعقاب هذا كيف لي ألا أوجّه شكرًا من القلب إلى كزافييه كانون Xavier Canone وديان هنيبرت Diane Hennebert وكذلك إلى الفريق السويسريّ لخبرتهم وحماسهم في مساهمتهم في هذه الورشة التي ليست ذات بعد محليّ فحسب بل هي ذات منظور دوليّ. في هذه القائمة من الشكر، لا يسعني إلا أن أكون ممتنًا للرهبانيّة اليسوعيّة من أجل دعمها تكلفة ترميم الواجهات، وللسيّدين نائبَي رئيس الجامعة ميشال شوير Michel Scheuer ووجدي نجم لأنّهما كرّسا الكثير من وقتهما لهذا المشروع، وللسيّدة ميشلين بيطار، وريثة الاندفاع الذي عُرِفَت به المديرة السابقة مي سمعان سينيوري May Semaan Seigneurie وذلك من أجل فطنة إدارتهما ورغبتهما في تحقيق المزيد من الإنجازات. أُعرِب عن

امتناني لجميع أعضاء الفريق على دعمهم المتواصل وصبرهم وكذلك لروّاد المكتبة الشرقيّة. كيف لا أشير إلى كلّ عمل تقوم به جمعيّة أصدقاء المكتبة الشرقيّة في بيروت في فرنسا لالتزامهم من أجل التعريف بها والمساعدة على ترميمها، والتزام رئيستها وهنري شاموسي Henri Chamussy الذي ترك هذه الأرض وهو يفكّر بمحفوظات الخرائط في المكتبة الشرقيّة ! فلنشكر معًا البروفسور مارون عوّاد الذي أعطى من وقته وعلمه من أجل تطوير المكتبة الشرقيّة ؟ وإن أنسى، لن أنسى ولا أستطيع أن أستبعد شخصيّة رمزيّة من المكتبة الشرقيّة ومكتبة الصور الفوتوعرافيّة، وهو شخصُ ودود وعالم يُدعى ليفون نورديغيان Nordiguian Levon الحاضر دومًا من أجل أن يكون متحف ما قبل التاريخ والمكتبة الشرقيّة ومكتبة الصور الفوتوغرافيّة نجومًا متلألئة تحت أشعّة شمس جامعة القدّيس يوسف !

٥. وفي ختام كلمتي ألقي نظرة امتنان على وجوه المسؤولين والعاملين السابقين في مكتبة المؤسّسة، والبعض منهم قد غادرنا، كالأخ اليسوعيّ نيران Neyrand الذي لا أزال أراه بثوبه الأبيض، ينقل الكتب بالعناية التي يوليها الممرّض للمرضى، ونهاد سلامة وكانت الطيبة والكفاءة تتجسّدان وفي بسمتها، ومارتن ماكديرموت Martin Mcdermott ومن خلاله أسترجع بالذاكرة سلسلة طويلة من مدراء المكتبة الشرقيّة اليسوعيّين. وجوه لا تُنسى، ومكتبة لا تزال حاضرة اليوم بفضل عمل الكثير من الأشخاص. بالأمس، وعلى مدى أكثر من مائة عام، إرتبط اسم المكتبة الشرقيّة بمعهد الآداب الشرقيّة – وقبل ذلك بالكليّة الشرقيّة –، وكانت مكتبة الإستشراق، لا بل أكثر من ذلك، كانت حاضنة للنهضة اللّغويّة والثقافية العربيّة واللّبنانيّة. ونحن نعلم أنّ الاستشراق تغيّرت ملامحه ورسالته وعلينا نحن في الجامعة أن نفكّر في موقع المكتبة المقبل والخدمات التي يمكن أن تقدّمها أيضًا من أجل التزام الجامعة الأكاديميّ ومن أجل الباحثين في أكثر من مجال. المكتبة الشرقيّة هي إرث مُلقى على عاتقنا، معهودٌ إلينا كوعدٍ مستقبليّ. لأكثر من قرن كانت المكتبة مكانًا للّقاء، مكانًا يرتاده باحثون بنسبة عالية ولا يزالون يرتادونها. إلا أنّ نظرها يجب أن يتوجّه نحو الجامعة التي تدين لها بالكثير ويتوجّب على الجامعة والباحثين فيها والمجتمع الدوليّ للباحثين أن ينظروا إلى المكتبة الشرقيّة على أنّها قِبلة العالم الأكاديميّ.

٦. من أجل مواصلة عمل لتحديث المكتبة، نحن بحاجة إلى دعمكم لأنّ الاحتياجات كبيرة والموارد مُتاحة بنسبة شحيحة. وحده إنشاء ملفّ إلكترونيّ كلّف الكثير، وسوف يستمرّ في التكليف . لديكم في الكتيّب قائمة

الاحتياجات وكذلك فكرة عن تكلفتها. سوف نُصغي إليكم لنعطيكم المعلومات اللازمة لأيّة مساعدة يمكن تقديمها إلى المكتبة.

٧. أيّها الأصدقاء الأعزّاء، محبّةً بالصورة الفوتوغرافيّة التي التقطت الوجوه وحدّدت المسارات المقدّسة، ومحبّةً بورق الصحف القديم الذي لا يزال يحمل في طيّاته أخبار الأمس، ومحبّةً بالكتاب الذي يروي لنا مسار الفكر، ومحبّةً بالحجر الرمليّ الجميل المرصوف على واجهات المكتبة الشرقيّة والتي تحمي كلّ محتوياتها، ومحبّةً برسالة المصالحة وتعزيز ما هو إنسانيّ في الإنسان، وهي رسالة لا تزال تستمرّ مع بعض الفوارق، ومن أجل لبنان الثقافة والجمال، نحن بحاجة إلى تحالف يواصل عمل الأمس الممثَّل برهبانيّة وجامعة ومكتبة – مكتبة صور فوتوغرافيّة وتعليم من أجل غدٍ مُفعم بالسلام والعيش المشترك والحريّة.

أشكركم جميعًا.